المحاضرة 4: الوقائع الإقتصادية في ظل النظام الإقطاعي

1/ظهور النظام الإقطاعي:

كان النظام الإقطاعي بمثابة النظام الاقتصادي والاجتماعي والسياسي الذي ساد في أوربا في العصور الوسطى حيث نشأ هذا الأخير على أنقاض النظام العبودي وذلك بعدما قامت القبائل الجرمانية بإحتلال روما، وبالتالي السيطرة على الإمبراطورية الرومانية الغربية (476 م)، كما قامت الدولة الإسلامية في القرن الثامن الميلادي بشن الحروب على الإمبراطورية الرومانية الشرقية والإمبراطورية الفارسية.

في ظل هذه الظروف بدأ النظام الإقطاعي بالتشكل لأن ملوك الجرمان الذين سيطروا على روما لم يكونوا قادرين على إقامة سلطة مركزية لذا عمدوا إلى تنصيب قادة جيوشهم حكاما للأقاليم، ومع مرور الوقت بدأ هؤلاء القادة بإتخاذ بعض مظاهر الاستقلال عن السلطة المركزية فأصبحت وظائفهم وألقابهم وراثية وصاروا يجمعون الضرائب لحسابهم الخاص، كما قاموا بإنشاء المحاكم الإقطاعية التي تحكم بأسمائهم وكان لكل إقطاعية جيشها الخاص حتى أن اغلب الإقطاعيين بدؤوا بسك (بإصدار) النقود بأسمائهم، وبذلك بدت الإقطاعية وكأنها وحدة اقتصادية واجتماعية وسياسية (وبالتالي تشكل ما يسمى بالهرم الإقطاعي الذي يأتي في قمته الإمبراطور الذي فقد نفوذه السياسي والاقتصادي مع مرور الوقت لصالح قاعدة الهرم التي تتألف من قادة الإقطاعيات– النبلاء – الأشراف — اللوردات).

2/أسباب قيام النظام الإقطاعي: يمكن أن نختصرها في ثلاثة أسباب أساسية:

- سقوط روما وتعاظم دور الإقطاعيين والنبلاء قضائيا وماليا وعسكريا وابتعادهم عن سلطة الإمبراطور.
- الحروب والنزاعات بين الاقطاعات والتي شلت العلاقات التجارية مما أدى إلى ظهور الاقتصاد المغلق للإقطاعة.
- الفتوحات العربية والإسلامية ودورها في القضاء على العبودية في اسبانيا.

3/مفهوم الإقطاعة: هي تلك الوحدة الاقتصادية وتعرف بالضيعة أو الريف الأوروبي القائمة على الإنتاج الطبيعي وتهدف إلى الاكتفاء الذاتي فهي اقتصاد مغلق زراعي وهي عبارة عن أرض محصنة تحوي أراضي مزروعة وأراضي مشتركة وأراضي غابات تتشكل من قرية أو أكثر يتوسطها قصر السيد الإقطاعي الذي يمتلك الأرض بجواره أكواخ يقطنها أقنان الأرض.

4/الزراعة في العهد الإقطاعي:

استولى قادة الإقطاعيات على اغلب الأراضي الزراعية بطرق مختلفة كإرهاق الفلاحين بالضرائب الشيء الذي يدفعهم إلى تسليمها بعد الغرق في الديون، أو قيام المزارعين بتسليم أراضيهم للإقطاعي طوعا مقابل الحصول على حمايته –خوفا – وبهذا الشكل أصبحت اغلب الأراضي ملكا للإقطاعيين وتحول المزارعين وأسرهم إلى أقنان للأرض (عبيد للأرض) يعملون لدى الإقطاعيين وتحت سيطرتهم.

وكانت الأراضي الإقطاعية ملكا للإقطاعي وموزعة بالشكل التالي:

1- أ راضي السيد الإقطاعي: جزء من الأرض يحتفظ به السيد لنفسه والجزء الثاني يوزع بين المزارعين بالتساوي حيث يقومون بزراعة حصتهم من الأرض لحسابهم الخاص مع إلتزامهم بدفع جزء من المحصول في شكل ريوع نقدية أو عينية لسيد الإقطاعية وللكنيسة (اندمجت الكنيسة في النظام الإقطاعي وأصبحت جزءا منه تدافع عنه وتحبذه وارتبطت بذلك مصالحها بمصالح النظام الإقطاعي).

2- أراضي الأقنان: وهي قطع صغيرة جدا، تتم زراعتها من قبلهم مقابل دفع ريع للسيد الاقطاعي ويلتزم المزارعون بالعمل وفق نظام السخرة في ذلك الجزء من الأرض المخصص للإقطاعي حيث يخصصون أياما معينة من الأسبوع للعمل على أرضه دون مقابل.

3- الأراضي البور: تمنح من السيد الاقطاعي للإنتفاع بها من قبل عامة الأفراد في أوقات معينة وقد كانت تستخدم للرعي.

أنماط الإنتاج الزراعي(طرق الزراعة): انقسمت عموما إلى ثلاث أنظمة (أنماط):

أ-نظام الحقل الواحد: حيث كانت تزرع كل المحاصيل أو نفس المحصول في الحقل الواحد لعدة مرات متتالية حتى تفقد الأرض خصوبتها، ومن ثم ينتقل أو يهاجر الفلاحون إلى حقل آخر.

ب-نظام الحقلين: وفيه يتم تقسيم الأرض أو المساحة الزراعية إلى حقلين، تتم زراعتهما بالتناوب.

ج-نظام الحقول الثلاثة (الثلاثة حقول): ويقوم على تقسيم الأرض إلى ثلاث حقوق، حيث تتم زراعة اثنان فقط لكن بمحصولين مختلفين، في العام الثاني يتم إراحة أحد الحقلين المزروعين وزراعة الثالث بمحصول آخر وهكذا. ومن هنا فالعلاقة بين مالك الأرض السيد كانت قائمة على أساس التبعية، وبهذا كان المجتمع ينقسم إلى طبقتين رئيسيتين وهما طبقة الإقطاعيين والفلاحين، والى جانب هذا كانت هناك فئات أخرى مثل صغار المنتجين من فلاحين وحرفيين وتجار ومرابون .

وكان اقتصاد الإقطاعية يميل إلى تحقيق الاكتفاء الذاتي (اقتصاد مغلق) فنادرا ما تتم المبادلة بين الإقطاعيات وكانت الزراعة تمثل أهم نشاط اقتصادي في اروبا .

5/الصناعة في النظام الإقطاعي:

ظهر في مجال الصناعات الحرفية تنظيمات نقابية (ابتداءا من القرن 12) تقوم بالإشراف على النشاط الحرفي في المدينة (يمارس النشاط الحرفي خارج سيطرة الإقطاعية) تسمى بالنقابات الطائفية، فكان لكل حرفة نقابتها الخاصة بها ومهمتها تنظيم النشاط الحرفي، حيث تقوم هذه النقابات بما يلي:

-1تحديد الأسعار والمحافظة عليها، تحديد عدد العمال في كل حرفة مع وضع شروط للعضوية في النقابة .

-2الإشراف على الإنتاج وضمان جودته. .

وتجدر الإشارة هنا أن هذه المرحلة عرفت ضعف وانحسار التجارة بين اروبا والشرق وهذا راجع لعدم وجود الأمن والإستقرار في الطرق التجارية التقليدية المؤدية إلى الشرق وذلك بعد تعاظم نفوذ الدولة الإسلامية، لذلك فإن اروبا في عهد الإقطاع تميزت بالإكتفاء الذاتي واقتصرت تجارتها مع العالم الخارجي على بعض المنتجات فقط.

نتيجة ظلم الاقطاعي تمرد الكثير من الحرفيين والفلاحين وهربوا من الاقطاعية نحو المدينة فعملوا في مجال المراباة والصيرفة والحرف اليدوية وهو ما دعم ظهور التبادل السلعي بين المدينة والريف وذلك بعد الحروب الصليبية في حوالي القرنين 12 و 13 فإزدهرت التجارة في المدينة وبرزت المنظمات الحرفية والنقابات الطائفية.

6/عوامل انهيار النظام الإقطاعي و ظهور النظام الرأسمالي:

1 –قيام الدولة القومية (الوطنية) والقضاء على طبقة الأسياد: أمام انتشار الظلم في الإقطاعية واتساعه بدأ هروب الحرفيين ورقيق الارض نحو المدينة نظرا لبروز مكانة المدينة وسيطرتها على عملية التبادل والتجارة انتشر استعمال النقود في الاقطاعية وهذا لحاجة السيد وضرورة التبادل الأمر الذي ساعد القن على التنقل التدريجي نحو الحرية وزاد الضغط على الإقطاعي بتحالف تجار المدينة مع الملوك من أجل القضاء على الإقطاع واستطاع بعض ملوك الدول الأوروبية أن يكونوا سلطة مركزية ويسيطروا على اراضيهم مثل إسبانيا فرنسا انجلترا البرتغال .

2 –الاكتشافات الجغرافية والاستعمار الأوروبي حيث كانت سببا في تدفق المعدن الثمين على أوروبا وظهور موجة الاستعمار الأوروبي.

3– تطور عدد سكان المدن الأوروبية: ابتداء من منتصف القرن 16 تسارع تزايد عدد سكان المدن الأوروبية بسبب تدفق الثروات على أوروبا وارتفاع مستوى المعيشة للأفراد مما أدى إلى ارتفاع الطلب على المواد الغذائية وبالتالي رفع سعرها وتحول الإنتاج الزراعي من طبيعي (اكتفائي) إلى بضاعي(سوقي)هدفه تحقيق الربح الرأسمالي.

4–التطور الفكري والإصلاح الديني: في هذه المرحلة أقرت الكنيسة بتفوق الذهاب إلى العمل على الذهاب إلى الكنيسة وهو ما أحدث تغييرا جوهريا واعتبرت الكنيسة الإقراض بفائدة ليس ربا وإنما هو مشاركة في الأرباح وهو ما أعطى دفعا قويا للنظام الرأسمالي.

5– تطور النظام المصرفي والنقدي: أصبح المودع في المرحلة الرأسمالية التجارية يتلقى فائدة عوضا عن دفع فائدة وهو ما رفع الادخار وزاد في رؤوس الأموال الاستثمارية الرأسمالية التجارية.